جامعة الانبار

كلية التربية للبنات

اسم المادة باللغة العربية: الادب الاندلسي

المحاضرة السادسة

ولادة بنت المستكفي

المستوى الدراسي الثالث

الفصل الأول

استاذ المادة

أ.م.د. سلام عبد فياض الحسن

ولادة بنت المستكفي:

هي الشاعرة العربية ذائعة الصيت بنت الخليفة الأموي في الأندلس المستكفي بالله، وهي الأميرة العربية الأموية القرشيَّة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله الخليفة الأموي الشهير، والدتها جارية إسبانية تُدعى سكرى، وقد ورثَت عنها ولادة لون بشرتها الأبيض وعينيها الزرقاويتين وشعرها ذو اللون الأصهب، ولدَت في قرطبة في عام ٩٩٤م تقريبًا ونشأت في بيت الخلافة في الأندلس، وتعدُّ ولادة في زمانها الوحيدة من النساء البارزات، فقد كان يُشار إليها بسبب شِعرها ومنافستها للشعراء الكبار في ذلك الوقت، لم تتزوج خلال حياتها أبدًا، رغم كثرة المحبين والعشاق من حولها، فقد كان لها مجلس أدبي شهير في ذلك العصر، وكان يقصده وجهاء وأعيان وشعراء قرطبة حتى يتحدثوا في الأدب والشعر وذلك بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس، ولذلك فقد كانت ولادة تخالط كبار الشعراء في زمانها، توفيت في عام ١٠٩١م في قرطبة أيضًا عن عمر يناهز مئة عام تقريبًا.

قصة حب ولادة وابن زيدون:

لقد جعلت ولادة بنت المستكفي بعد مقتل والدها من دارها مجلسًا أدبيًّا يقصده الشعراء والأدباء الكبار في قرطبة في ذلك العصر، وانشغلت بعد ذلك بالشعر والأدب واللهو، وفي هذه الفترة اتَّصلت ولادة بابن زيدون أحد أشهر الشعراء في ذلك الوقت، وقد اشتهرت قصَّة الحب التي نشبَت بينهما رغم أنَّها لم تدُم طويلًا، فقد أحبَّها ابن زيدون حبًّا كبيرًا وصار مولعًا بها، وظلَّ يطلب وصالها ولقاءها على طول الفترة التي جمعت بينهما، وقد ذكر البعض سبب عدم استمرار علاقتهما طويلًا بأنَّ ابن زيدون قد أظهر ميله لجارية سوداء البشرة كانت بارعة في الغناء من أجل أن يثير غيرة حبيبته ولادة حتى تعود إليه، وقد حاول كثيرًا أن يسترضيها بقصائده الشهيرة والتي أشهرها القصيدة ذات المطلع الأشهر:

أَضْحَى التّنائي بَديلاً عنْ تَدانِينَا وَنَابَ عَنْ طيبِ لُقْيانَا تجافينَا

لكنَّها رغم ذلك لم تلفت له وعاقبته على ذلك بخوضها قصة حب مع شخص ثري قليل الذكاء هو الوزير ابن عبدوس، ولم تعُد إلى ابن زيدون بعد ذلك أبدًا، فغدَت قصة حبهما من أشهر قصص الحب في التاريخ العربي.

ولادة بنت المستكفي في ميزان النقد:

رغم أنَّ ولادة كانت تحبُّ الشعر كثيرًا، وتقيم مجلسًا أدبيًا تجمع فيه الشعراء والأدباء في عصرها، إلا انَّها كانت كما رويَ عنها عفيفة يشهدُ لها الناس بالطهارة والنقاء، وكانت تنافس الشعراء الكبار في الأندلس وتعدُّ من الشاعرات المجيدات، في أشعارها حسنٌ بديع وألفاظ قصائدها جزلة، فقد كانت إلى جانب علو نسبها وجمالها وحسنُ عشرتها البراعة في قول الشعر والنباهة والفصاحة، والتي من خلالها فاقت جميع نساء عصرها، وقد تميَّزت معظم أشعارها بالعذوبة والرقة إلا ما كانت تقوله في الهجاء كان على غير ذلك.

شعر ولادة بنت المستكفي:

لقد كانت ولادة من أشهر الشاعرات العربيات في عصرها، وما يزال اسمها من ألمع الأسماء رغم مرور أكثر من عشرة قرون على وفاتها، وخاصَّة بسبب قصص الحب التي عاشتها مع ابن زيدون وابن عبدوس، وسيتمُّ ذكر بعض قصائدها فيما يأتي:

من أشهر الأبيات التي قالتها ولادة واشتُهرت بهما هما بيتان من الشعر، وقد قيلَ أنَّها كانت تكتبُ كل منهما على جهة من ثوبها:

أنا واللهِ أصلح للمعالي وأَمشي مشيتي وأتيهُ تيها ِ

أمكنُ عاشقي من صحن خدّي وأعطي قُبلتي مَن يشتهيها

بعض الأبيات التي وجَّهتها إلى ابن زيدون، وذلك بعد أن أظهر ميله لجارية سوداء ليثيرَ غيرةَ ولادة:

لَو كنت تُنصِفُ في المودة بيننا لم تهوَ جاريتي ولم تتخيّرِ

وَتركتَ غصناً مثمراً بجماله وجنحتَ للغصنِ الذي لم يثمرِ

ولقد علمت بأنّني بدرُ السما لَكن دهيتَ لِشقوتي بالمشتري

وقد صورت ولادة لقاءها بابن زيدون من خلال قولها:

ترقّب إذا جَنّ الظلام زيارتي فإنّي رأيتُ الليلَ أكتمَ للسرِّ

ووفت ولادة بعهدها لابن زيدون ولما ارادت الانصراف قالت هذه الابيات تودعه بها :

ودّعَ الصبرَ محبّ ودّعكْ ذائعٌ مِن سِرّه ما اِستودَعكْ

يقرعُ السنّ على أَن لم يكن زادَ في تلك الخطى إذ شيّعك

يا أَخا البدرِ سناءً وسنا حَفِظَ اللهُ زماناً أطلَعكْ

إن يطُل بعدكَ ليلي فلكم بتّ أشكو قِصرَ الليل مَعك

وقد يبدو من العوامل التي عكرت صفو الجو بينهما ان ابن زيدون انتقد شعرها وذلك عندما ارسلت له ابياتها التي اودعتها حنينها وصبابتها بعد ان احست بالوحشة وافتقرت الى مؤنس فقالت :

أَلا هَل لنا من بعد هذا التفرُّق سبيلٌ فيشكو كلُّ حبٍّ بما لقي

وَقد كنت أوقات التزاورِ في الشتا أبيتُ على جمرٍ من الشوق محرقِ

فَكيفَ وقد أمسيت في حال قطعةِ لَقد عجَّل المقدور ما كنت أتَّقي

تمرُّ الليالي لا أرى البين ينقضي وَلا الصبر من رقّ التشوّق معتقي

سَقى اللهَ أرضًا قد غدت لك منزلًا بكلِّ سكوبٍ هاطلِ الوبلِ مغدقِ

المصادر والمراجع:

- الادب الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ تأليف د: منجد مصطفى بهجت، العراق.
- الشعر النسوي في الاندلس تأليف محمد المنتصر الريسوني منشورات دار مكتبة الحياة بيروت – لبنان.